رحلة خلود
أبـــــو عامـــــــر

رحلة خلود

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين، أولا لا تنسوا الدعاء لإخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وفي فلسطين بالنصر والتمكين على أعدائهم ،ولا تنسوا الدعاء لجدي بالرحمه أما بعد: فقد قمنا بإعداد هذا الكتاب استناداً على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبعض علمائنا والأثر ،وتتبلور فكرة هذا الكتاب حول الآخره وما فيها من نعيمٍ مقيم منذ بداية رحلتنا التي هي الموت إلى النعيم المقيم عند رب العالمين ألا وهي الجنه، واعتمادنا الأول والرئيسي في هذا الكتاب على هذه الأشياء لأنه وكما قيل أقوى داعٍ للإنسان إلى العمل وإلى الإجتهاد في هذه الدنيا الفانيه من أجل تحصيل نعيم الآخره أن يضع الإنسان موته نصب عينيه،

وأن يتذكره دائماً، وأن يُمَنِّي نفسه بالجنه، وأن يخوفها من النار فلهذا نقول وبالله التوفيق هيا بنا نبدا: ما فيش شك إن كل إنسان منا عايش حياته سواء كانت مترفه وجميله أو كانت مليئه بالفقر ولكن مئة بالمئة في شك وفرق كبير بين كل واحد فينا وحاله مع مالك الملوك رب كل شيء الله، ممكن تلاقي واحد مننا غني جداً وعايش حياته وباين عليه سعيد ولكن علاقته مع ربه في قمة السوء ولو كانت بالارقام لقلنا تحت الصفر إلى السالب، وفي الجهه المقابله هذا العبد الصعلوك الفقير الذي ملا الفقر حياته وغطاها من كل جانب وأحاط به ورغم كل هذا إذا قابلته وجدت في وجهه نور الإيمان ،وإذا تحدث لشعرت بالأمان معه ولستأنس قلبك من حديثه، فهذا العبد الفقير ليس كذاك فهذا حاله وعلاقته مع ربه كادت تكون على أكمل وجه ولو كانت بالنسبه لكانت علاقته بربه وحبه لربه مئة بالمئة على الوجه الذي يرضي الله عنه،

وهذا هو الذي يجب على كل إنسان منا أن يصل إليه ألا وهو السلام الداخلي مع الله فهي الغايه التي يطمع بها كل من في هذا الكون الفسيح، ولهذا سنذهب بعيداً عن هذا العبد الذي حاله مع ربه كحال الكافي في جحره لا يعرف غير إسمه ،ونتجه إلى هذا العبد الذي لو وزع إيمانه على أهل الأرض لكفى وفاض، وهذا الرجل الآن هو كل إنسان منا وقد بدأت الآن المرحله الأولى الموصله إلى النعيم المقيم ألا وهي الموت.....

LIFE
IN
"BARZAKH"
يا ساكِنَ القَبرِ عَن قَليلِ
ماذا تَزَوَّدتَ لِلرَحيلِ

مات هذا الرجل وكان ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر؛ للقاء الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَه، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَه) رواه البخاري،هو في اللحظات الأولى من الحياة الحقيقية التي بدأت الآن، وهو في سكرات الموت إلا ويرى رجالاً بيض الوجوه يلبسون لباساً أبيض يتجهون إليه ومعهم رجل أبيض أجمل ما رأت عينه يضحك إليه وهو "ملك الموت" عليه السلام يقول له: إن الله يرسل إليك السلام وهو في هذه اللحظه يكاد يطير قلبه من شده الفرح، أنا العبد الفقير إلى ربي هو يرسل إليَّ السلام، ولكن هو ليس بقادرٍ على رد السلام ولا بقادرٍ على فعل أي شيء، ينظر لملك الموت بهذه الخلقه العظيمه، وليست الخلقه التي صورها بعضهم في الأفلام أنه رجل أسود ويمسك عصا بيده يضرب بها من يقابله وأنه شرير لا فقد كذبوا علينا،

وفجاءه يقول ملك الموت: أيتها الروح الطيبه اخرجي إلى روح وريحان ورب راضٍ عنك غير غضبان، اخرجي إلى رضوان من الله ومغفره، فتخرج الروح كالقطره الأخيرة في الوعاء التي تنزل بسلاسة، فقد جاء في الحديث أن روح المؤمن تخرج كما تخرج القطره من فم السقاء، وبعدما مات هذا الرجل الطيب كفنته الملائكه بكفن وحانوت من الجنه وهو المسك والريحان الذي لم يُرى في جمالهم أبداً على أعظم ملوك الدنيا، والآن بعد ما مات الرجل يبدأ كل شيء في التغير أصبح نظره مختلف كأنما انتقل من ظلامٍ إلى نور، من غفله إلى يقظه، كما قال تعالى ﴿لَقَد كُنتَ في غَفلَةٍ مِن هذا فَكَشَفنا عَنكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَديدٌ﴾ [ق: ٢٢] بدأ الرجل يرى كل شيء بروحه، بدأ يرى روحه وهي تخرج من جسده، يرى جسده وهو بالي وكأن جسده كانت ملابس وتركها، {زوجته، أولاده، إخوانه} يراهم جميعاً وهم مجتمعون على جسده ويبكون عليه وهو يراهم من الأعلى ولا يستطيع الرد عليهم ليطمئنهم عليه،

وفي لحظات وبسرعه تأخذ الملائكه المساعده لملك الموت روح هذا الرجل الطيب، وبعد تكفينه سمع صوت ملأ الأرض بأكملها وهو صوت `الصلاة عليه` فكل ملائكه السماء كانوا يرددون بصوت واحد: الصلاة على هذا الرجل الطيب بأمر من مالك الملك سبحانه وتعالى، وبعدها كل هذا الجمع من الملائكه يأخذون هذا الرجل الطيب ويُنْطَلَق به إلى السماء وهو ينظر إلى الارض وإلى البشر الدنيا كما هي، والناس كما هم، هذا ذاهب إلى العمل، وهذا مسافر، وهذا يلعب، ولكن هو وكأنه فارق هذه الدنيا، وهنا بدأ يستوعب أنه ودع الجميع وأنه قد مات، على كلٍ: وصل الرجل الطيب إلى السماء وهنا سمع صوتاً غريب وكان هذا الصوت صوت حرس السماء وهم يسألون الملائكه التي مع هذا الرجل: ما هذه الروح الطيبه؟ فيرد الملائكه: روح فلان ابن فلان بأفضل الأسماء التي كان يحبها في الدنيا، وهنا صُعِقَّ الرجل كيف عرفوا أنه يحب أن ينادونه بهذه الأسماء؟ كيف عرفوا أن هذه الأسماء هي أحب الأسماء إليه؟

ففي كل لحظة يعتقد الرجل أنه الآن وصل إلى السعاده المطلقه، فيزداد سعاده، وكل مره ينصدم أكثر ويسعد أكثر من سعاده المره التي قبلها، وعلى كلٍ: استمرت الملائكه في حمل هذا الرجل إلى السماء الأولى، ثم الثانيه، ثم الثالثه، ثم الرابعه ،ثم الخامسه، ثم السادسه، حتى وصلوا إلى السماء السابعه والرجل محمول بطريقه ما حُمل بها أعظم وأفضل ملوك الارض، فهو ليس محمول على أظهر البشر ولا أظهر الدواب بل هو محمول على أيدي الملائكه، وبعد الوصول به إلى السماء السابعه مع الملائكه توقفت الملائكه والرجل بدأ يشعر أن هذا التوقف ليس عادياً بل لأمر مهم، بدأ ينظر يميناً ويساراً في كل الإتجاهات لا يعرف ماذا يحدث، وهنا بدأ يشعر أنهم يستخرجوا له جواز سفرٍ جديد، أو جنسيه جديده للحياه الجديده التي هو مقبل عليها، أو من الممكن أن نسميها *شهاده ولاده برزخيه*

وفي هذه اللحظات يسمع الرجل الطيب منادي ينادي ويقول اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى كما قال عز وجل ﴿مِنها خَلَقناكُم وَفيها نُعيدُكُم وَمِنها نُخرِجُكُم تارَةً أُخرى﴾ [طه: ٥٥]، فكل هذا الكلام الذي سمعه هذا الرجل الطيب كُتِبَ في كتاب وهذا الكتاب يسمى "بالكتاب المرقوم" وهنا قال كما ذكر في تفسير ابن القيم رحمه الله للآيات ﴿كَلّا إِنَّ كِتابَ الأَبرارِ لَفي عِلِّيّينَ ۝ وَما أَدراكَ ما عِلِّيّونَ ۝ كِتابٌ مَرقومٌ ۝ يَشهَدُهُ المُقَرَّبونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١] يقول ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: أن كتابهم كتاب مرقوم؛ لكونه مكتوباً كتابةً حقيقيه، ومع كل هذا خص الله تبارك وتعالى كتاب الأبرار أنه يُكتب بجمع كبير من الملائكه والمؤمنين وأيضا النبيين؛ إظهاراً لهذا الرجل بين خلقه كما قال تعالى ﴿كِتابٌ مَرقومٌ ۝ يَشهَدُهُ المُقَرَّبونَ﴾ وهذا الامر هو نوع من صلاه الله وملائكته وتكريماً لهذا العبد الطيب الصالح،

فهذا الكتاب المرقوم لم يعطى لهذا الرجل الطيب من ملك من ملوك الدنيا بل أعطى من ملك الملوك الله تبارك وتعالى، وبعد ما سمع هذا الرجل الطيب الكلام الذي كتب في الكتاب المرقوم وبعد ما رأى كل هذا الجمال كان ينتظر المرحله القادمه ماذا سيحدث الان؟ وفجاءه بدأت الملائكه بحمل الرجل من جديد والنزول به تدريجياً من السماء السابعه حتى وصلوا إلى الأرض، وفي هذا الوقت كان جسد الرجل الطيب بداخل قبره والملائكه أدخلت الروح في القبر، وهو الآن في مكان جديد عليه مكان مظلم لا يعرف عنه شيء هل هو ضيق أو واسع؟ هل رائحته جيده أم سيئه؟ إلى الآن هو أشبه بفتره الحلم لا يستوعب شيء، وهذه هي نفس اللحظه التي يوعى فيها الطفل بالحياه الدنيا، فهو الآن في أول لحظه في حياه البرزخ بعدما حاول استعاده وعيه، وهو بداخل القبر بدأ يسمع أصوات أولاده ولكن من فوقه كان يسمع أصواتهم وهم يدعون له ويبكون عليه،

كان يسمع أصواتهم وهم يدعون له ويبكون عليه وأخيراً فهم الرجل أن هؤلاء كلهم في الحياه الدنيا وهو في حياه البرزخ، وبعدها بقليل بدأ يسمع خطوات أقدامهم وهم يمشون كما جاء في الحديث أنه يسمع قرع نعالهم حين يولون، وفي هذه اللحظه دخل هذا الرجل الطيب في حيرة حينها ضُمَّ الرجل ضَمة القبر فهذه الضَمَّة هي ضَمه السكون والوحده ولكن هذا السكون والهدوء لم يستمر طويلاً، وفجاءه بدأ يسمع صوت حفر من يمينه ومن شماله لا يستطيع تحديد المكان ولا الإتجاه ومره واحده وهو في حيرته ظهر أمامه مَلَكان لونهما أزرق مسود، عيناهما كالبرق الخاطف، أصواتهم كالرعد القاصف ومعهم مطرقة من حديد ولكن ليست أي مطرقة فإن هذه المطرقة لا يستطيع أحد من الدنيا حملها، وقفوا الملكين أمام الرجل الطيب ثم قعدوه كما يقعد في الدنيا بداخل القبر بطريقه لا نستطيع تخيلها، والآن يبدأ كل شيء....

فسألوه الملكين ثلاثة اسئله بصوتٍ واحد: يا رجل من ربك؟ فيقول: ربي الله، ثم سالوه ما دينك؟ فقال: ديني الإسلام، ثم سألوه من نبيك؟ أو ماذا كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيسألوه سؤال آخر ويقولانِ له: وكيف عرفت ذلك؟ أن ربك الله، ودينك الإسلام، ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم، فأجابهم وهو مرتبك: لقد قرأت وتليت قرأت القرآن ،وتليت القرآن، وتدبرت فيه، فعرفت كل هذه المعلومات كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم [إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِه وتَولَّى عنه أصحابُه وإنه ليَسمعُ قَرْعَ نعالِهم ، يأتيه مَلَكَانِ فيقولانِ : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ يعني : محمدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟ قال : فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : آمنتُ أنه عبدُ اللهِ ورسولُه ، فيُقالُ له : انظرْ إلى مقعدِك في النارِ قد أبْدَلَكَ اللهُ مقعدًا في الجنةِ فيراهُما جميعًا] السنن الكبرى للبيهقي، فيسمع الرجل صوت من عليين صوت من السماء يقول: أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنه، وافتحوا له باباً إلى الجنه، وألبسوه من الجنه،

قال: فيأتيه من روحها وطيبها فَيُفْتَح له في الجنه مد بصره، ويوسع له في قبره، فيرد عليه الملكين وهم -منكر ونكير- ويقولان له: قد كنا ندري انك ستقول هذا فأنظر إلى شمالك فينظر ويتفاجأ بالجحيم ناراً عظيمه مشتعله، فهذه النار التي جلس يسمع بها طوال حياته فهي الآن أمامه ،فهذه بوابة في القبر إلى النار فخاف الرجل وفزع ومباشرةً قالوا له: هذا مكانك ومقعدك من النار لو أنك عصيت الله وكفرت به أو أشركت به، ولكن قد أبدلك الله مكاناً خيراً منه في الجنه فأنظر إلى يمينك، فينظر الى يمينه إلا ويرى مقعده في الجنه يرى منزله، قصوره، حدائقه، بساتينه، التي في الجنه وهنا يفرح فرحاً ما فرح قبله مثله في الدنيا فيقول لهم: دعوني أخبر أهلي فيقال له: "اجْلِس مَكانَك؛ فإنَّ هذا مَقامَكَ إلى يَومِ القِيامَةِ" كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال«إذا رأى المؤمنُ ما فُسِحَ له في قبرِه ، فيقولُ : دعوني أُبَشِّرُ أهلي ، فيُقالُ له : اسكنْ» صحيح الجامع،

ومن شده فرحه يقول ربي أقم الساعه ربي أقم الساعه حتى أذهب إلى مكاني في الجنه، وهنا ينتهي دور منكر ونكير فيقولان له: يا أيها الرجل الطيب نَم كنومة العروس التي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه فينام الرجل على فراشه الذي في الجنه وينظر بإتجاه اليمين ويبدأ بالنظر إلى الجنه ويتمتع بهذا المشهد، وفجاءه خلال لحظات من هذا الفرح العارم وهذه اللحظات السعيده التي يعيشها يرى نوراً قادماً له من أبعد نقطه في قبره، يرى رجل أبيض جميل قادم يمشي بهدوء وسكينه رائحته جميله تفوح منه أجمل الروائح يبتسم له وقبل ما يتكلم الرجل الطيب يقول له هذا الضيف الذي جاء في قبره: أبشر بالخير أبشر بالذي يَسُرك هذا اليوم الذي كنت توعد، هنا ينظر إليه الرجل ويقول له: من أنت يا رجل فوجهك الذي يجيء بالخير فيقول له هذا الضيف: ألا تعرفني؟ فيرد عليه الرجل ويقول له: أنا عملك الصالح، أنا صلاتك، أنا صيامك، أنا صدقتك، أنا بِرُّكَ بوالديك، أنا حُسن خلقك، أنا قيام ليلك، أنا عفتك، أنا طهارتك، وأنا الآن أنيسك في القبر فأنت من بيضت وجهي

كما جاء في الحديث الطويل عن البراء بن عازب، فيجلس هذا العمل الصالح مع الرجل الطيب في قبره يتكلمون، ويفرحون، ويلعبون، وينعمون، ولكن كيف هذا؟ أو كم المده؟ الله أعلم بحالهم، وبعد مرور وقت ليس بالطويل يسمع الرجل الطيب صوت من الأعلى صوت من الحياه الدنيا يسمع صوت ابنه وهو يدعي له فيفرح الرجل الطيب بدعوة ابنه له، ودعوته تصل إلى قبره كالنور كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [ذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له] صحيح مسلم ،بعد ما يغادر ابنه قبره يحصل شيء غريب كما ذكر في الأثر ﴿ أنه يأتي يوم الجمعة على الرجل وهو في قبره إلا ويتفاجأ أن أمه التي ماتت من مدةٍ كبيره جاءت لتزوره في قبره، وأبيه الذي مات من مدةٍ كبيره جاء ليزوره في قبره، أقربائه وأحبائه الصالحين الذين توفوا وهو يعرفهم قادمون ليزوروه ويسلموا عليه ويهنئوه أنه كان من الصالحين

وأنه لو لم يكن من الصالحين ما استطاعوا زيارته ولا معرفة أنه مات، فهم جآءوا ليهنئوه على أنه ارتاح من تعب وغم الدنيا الفانيه وكما جاء في الأثر أن هؤلاء الأموات الصالحين يذكروا أن هذه الدنيا تعب وغم وأن حياتهم في الموت هي الراحه، ونحن نخاف من الموت ونخشاه ونتمنى الحياه سبحان الله ،على كلٍ:تدخل أم الرجل الطيب أو أبيه أو غيره من أقربائه ويسلموا عليه ويسألوه عن ابنه وزوجته وغيرهم ماذا حدث لهم؟ هل هم من الصالحين في الدنيا؟ هل تزوج ابنك؟ وغيرها من الاسئلة عن أحوال الناس في الدنيا، إلى أن يسألوه عن رجل معين أو امرأه فيقولوا له: ماذا صار لفلان؟فيقول لهم الرجل: فلان هذا الذي سألتم عنه قد مات من تسع سنوات! لماذا ألم يأتي إليكم ؟ ألم يمر عليكم في حياه البرزخ؟ فيقولوا له بصوتٍ واحد: إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهِبَ به إلى أنه الهاوية كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَأَمَّا مَن خَفَّت مَوازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ ۝ وَما أدراكَ ما هِيَه ۝ نارٌ حامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨-١١] ،

فهذا يعني أن هذا الرجل لم يكن صالح، لم يتنعم مثلنا في البرزخ بل هو الآن يُعذب لذلك لا نعرف عنه شيء..... الآن ذهب هذا الرجل الطيب يتنعم في قبره بالحياه التي اختارها هو بنفسه في الحياه الدنيا، فهو اختار الاختيارات الصحيحة ولذلك يعيش الآن في قبره على الوجه الذي يرضيه، فهو الآن دورنا حتى نختار الاختيارات الصحيحة حتى نكون مثله أو لنسبقه إلى النعيم، فلا ندري هل ضيفنا وصديقنا الذي سيكون معنا في القبر جميل أو شيطان؟ هل سيكون الباب الذي سَيُفتح لنا في قبرنا من الجنة أم من النار؟ كل الاختيارات طالما أنك الآن حيٌ ترزق وتقرأ هذا الكتاب إن شاء الله إذاً فإنك قادر على تغيير كل شيء إلى الأفضل بافعال سهلة تسمح لك بالوصول إلى هذا الأمر، فهي ليست صعبة ولا بعيده ولا مستحيلة،

ولكي نستوعب معنى حياة البرزخ وأنها أكبر وأفضل بكثير من حياة الدنيا: كل هؤلاء الناس الذين ماتوا من بداية الخلق من سيدنا آدم هم الآن يعيشون في حياة البرزخ، أما هذه الدنيا فكم يعيش بها الآن؟ ثمانية مليار أو تسعة مليار أو حتى عشرة مليار فهذا العدد لا يتقارن أبداً أمام أعداد الناس التي في حياة البرزخ الآن.....وهذاا فقط. كل المصادر التي اعتمدت عليها هي: ﴿ القرآن الكريم والسنة النبوية والأثر ﴾ نلقاكم على خير في الفصل القادم إن شاء الله.

البعث والحشر
RESURRECTION AND GATHERING
يوماً يُبعَث فيه الأمواتُ
وتُحشَر الأرواحُ، وتُسألُ الذاتُ

البعث والحشر

بعد كل الأحداث التي وقعت في حياة البرزخ، وبعد النفخة الأولى التي أمات الله بها جميع الخلائق، جاء الموعد الذي تجتمع فيه الخصوم. أمر الله إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور، فهو سبحانه وتعالى القادر على كل شيء. بنفخة واحدة يحيي الله الملائكة والإنس والجن والبهائم. قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّماواتِ وَمَن فِي الأَرضِ إِلّا مَن شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخرى فَإِذا هُم قِيامٌ يَنظُرونَ﴾ [الزمر: 68]، هنا يبدأ يوم القيامة.

أول من ينشق عنه القبر هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال:

"أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع" (رواه مسلم).

يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من قبره، فيجد موسى عليه السلام عند العرش. ولا يدري صلى الله عليه وسلم: هل أفاق موسى قبله أم لم يُصَب بهذه الصاعقة؟

فقد وردت روايات تُشير إلى أن موسى عليه السلام حين قال الله عز وجل:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسى صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]،

كان قد صُعق في الدنيا، ولذلك لم يُصعق في النفخة الأخرى يوم القيامة. والله أعلم.الصفحة الثالثة:

وكما قال صلى الله عليه وسلم:

"فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيَامَةِ، فأصْعَقُ معهُمْ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فَإذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فلا أدْرِي أكانَ فِيمَن صَعِقَ فأفَاقَ قَبْلِي، أوْ كانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ" (صحيح البخاري).

ثم يخرج الجميع من الأجداث، ويقفون في هذا المشهد العظيم: الظالم والمظلوم، الغني والفقير، السعيد والحزين. الجميع حُشروا وتساووا.

يقوم الرجل الصالح بعد نوم طويل، لكنه يشعر وكأنه نام ثوانٍ فقط. سعيد ومتحمس، يجد نفسه ملقى على الأرض، وعلى جسده تراب أبيض، ولا يرتدي شيئًا. وكما قالت عائشة رضي الله عنها حين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا".

فقالت: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟"

فقال:"يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ".

وفي رواية:

"الأَمْرُ أَهَمُّ مِن أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ" (متفق عليه).يقوم الرجل وينفض التراب عن جسده، ويجد الدنيا مظلمة، لكنه يستطيع الرؤية نوعًا ما بقدر ما منحه الله من نور. قال تعالى:

﴿يَومَ تَرَى المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ يَسعى نورُهُم بَينَ أيديهِم وَبِأيمانِهِم بُشراكُمُ﴾ [الحديد: 12].

يُلاحظ من حوله أشخاصًا يقومون مثله، منهم من يعرفه ومنهم من لا يعرفه.

"الذين يعرفهم كانوا أشخاصاً عاشوا في نفس الزمن الذي عاش فيه، سواء كانوا من أقربائه أو غيرهم. والذين لا يعرفهم قد يكونون من العصر الحجري، أو زمن سيدنا نوح، أو الفراعنة، أو غيرهم. والله أعلم. بعدها يبدأ الرجل في التحدث مع الذين يعرفهم، ويفهم أين هو ولماذا هو هنا. وفي نفس الوقت يسمع صوتاً يدعو الناس جميعاً للمشي في اتجاه معين. قال تعالى: ﴿يَومَئِذٍ يَتَّبِعونَ الدّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨]. يبدأ الرجل بالمشي مع الناس في هذا الاتجاه، في مشهد مذهل وعجيب جداً. فكل الأولين والآخرين منذ بداية الخلق من سيدنا آدم إلى قيام الساعة الأعداد تاريخية، فقد شبه الله الأشخاص بالجراد من كثرة عددهم حيث قال: ﴿خُشَّعًا أبصارُهُم يَخرُجونَ مِنَ الأَجداثِ كَأَنَّهُم جَرادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. "يرى أشخاصاً يتحسرون على هذا الشيء الذي حدث وكيف تم إحياؤهم بعد ما ماتوا، وآخرون سعداء بهذا القيام. الجميع يسير ولا يركز أحدهم مع الآخر. كل شخص منهم يفكر أين سيذهب وماذا سيحدث له.

ولكن هذا الرجل الطيب ماشي مطمئن باذن الله وسعيد جداً، لأنه وهو يقوم بعد النفخة الثانية وجد كائنات في منتهى الجمال تقول له: "لا تخف ولا تحزن، هذا اليوم الذي كنت تنتظره، هذا اليوم الذي كنت توعد." يعرف في هذا الوقت أنهم ملائكة فيطمئن كثيراً. وخلال سيره، يجد الملائكة تنظم حركة سير الأشخاص. المؤمنين يذهبون إلى جنب والكفار والمنافقين إلى جنب. هذا يتقدم إلى الأمام وهذا يرجع إلى الخلف، كما قال تعالى: ﴿وَسيقَ الَّذينَ كَفَروا إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَسيقَ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُم إلَى الجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]. فجأة، يجد مجموعة من المنافقين يأتون إليه ويقولون له: "نحن لا نرى جيداً، هل نستطيع المشي خلفك لنستفيد من نورك الذي كتبه الله لك؟" فتقوم الملائكة بسرعة بامساكهم وإرجاعهم إلى مكانهم مرة أخرى. مع كل حبة، تأتي مجموعة من المنافقين ليستفيدوا من نور المؤمنين.

وعندما يزيد الموضوع، مرة واحدة يتم منع المنافقين بشكل صارم جداً من المشي أو حتى الاختلاط بالمؤمنين، ويستمرون في المشي.بعد مدة معينة، يكون هناك سور له باب، من الداخل المؤمنين، ومن الخارج الكفار والمنافقين والمجرمين، كما قال تعالى: ﴿يَومَ يَقولُ المُنافِقونَ وَالمُنافِقاتُ لِلَّذينَ آمَنُوا انظُرونا نَقتَبِس مِن نورِكُم قيلَ ارجِعوا وَراءَكُم فَالتَمِسوا نورًا، فَضُرِبَ بَينَهُم بِسورٍ لَهُ بابٌ، باطِنُهُ فيهِ الرَّحمَةُ وَظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذابُ﴾ [الحديد: ١٣]. قال الحسن وقتادة كما جاء في تفسير ابن كثير، السور هو حائط بين الجنة والنار يسمى "الأعراف". وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، هو الذي قال الله تبارك وتعالى عنه: ﴿وَبَينَهُما حِجابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]. وهكذا رُوِيَ عن مجاهد رحمه الله وغيره، "وهو الصحيح."

وقف الجميع في انتظار بدء الحساب، ولكن الجو اشتدَّ صعوبةً للغاية. أما عند المؤمنين، فقد كان الجو جميلاً ومعتدلاً بفضل الله ورحمته. في تلك اللحظة، بدأ المنافقون ينادون المؤمنين الذين كانوا في الداخل: "ألم نكن معكم في الدنيا؟ كنا نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونشارككم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات".

فيرد المؤمنون: "نعم، كنتم معنا بأبدانكم، ولكنكم فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وأخَّرتم التوبة من وقت إلى آخر. كنتم تسخرون من أهل الحق، وتشكون في توحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وتكذبون بالبعث بعد الموت. وقلتم: سيغفر لنا، فاحببتم الدنيا ونسيتم الآخرة، واستمررتم في ذلك حتى جاءكم الموت".

قال قتادة: "كانوا في خُدعةٍ من الشيطان، واللهِ ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار".

وهذا المعنى يُشير إلى أن المنافقين كانوا مع المؤمنين بأبدانهم دون نيات صادقة أو قلوب خاشعة. كانوا يراؤون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً. فكان رد المؤمنين عليهم تقريعًا وتوبيخًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14].

فجأة، تُفتح السماء وينزل منها غمام كثير في مشهدٍ مذهلٍ يقشعرُّ له الأبدان. ذلك الغمام هو ظلل النور العظيم الذي يُبهر الأبصار. ثم تنزل ملائكة السماوات، فيُحيطون بجميع الخلائق في مقام المحشر.

تنشق السماء الدنيا، فينزل أهلها، وهم أكثر من الإنس والجن ومن جميع الخلق. فيُحيطون بالجن والإنس وجميع الخلائق. ثم تنشق السماء الثانية، فينزل أهلها، فيُحيطون بمن نزل قبلهم. وهكذا حتى تنشق السماء السابعة، فينزل أهلها، وهم أكثر من أهل السماوات جميعًا، فيُحيطون بكل الخلائق.

ثم ينزل الله تبارك وتعالى في ظللٍ من الغمام، وحوله الملائكة الكروبيون وحملة العرش، وهم أشرف الملائكة وأقربهم. كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172] كما ذكر ابن كثير رحمه الله. فهم أكثر من أهل السماوات السبع، ومن الجن والإنس، وجميع الخلق لهم قرون كأكعب القنا، وهم تحت العرش لهم صدحٌ بالتسبيح والتهليل والتقديس، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: 25]. يقف الجميع صفوفًا منتظمة كصفوف الصلاة. ويُشرق النور الإلهي على الأرض الجديدة، فلا ظلمة فيها. ذلك نور الله الذي أضاء كل شيء. ثم يعم الصمت أرجاء الأرض، فلا يُسمَع إلا همسٌ خفيف بين المخلوقات. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

فصل في الحشر

يقف الجميع: الجن والإنس والحيوانات والبهائم وكل الخلق، في صفوفٍ على أرضٍ بيضاء مستوية ليس بها تعرُّج. وبعد هذا الوقوف، يشعر الجميع بحرٍّ شديدٍ للغاية، ومصدر هذا الحر غير معلوم. وفجأة، تظهر أمامنا جهنم، وعليها سبعون ألف زمام، وعلى كل زمام سبعون ألف ملك. كل هذا العدد من الملائكة يسحبون جهنم إلى أرض المحشر. فلو أفلت واحدٌ فقط من هؤلاء الملائكة زمامًا واحدًا، لقامت جهنم والتهمت كل الحاضرين في أرض المحشر بإذن الله. وفي هذه اللحظات، يسود الرعب الشديد إلى درجة أننا سنظن أن الجميع سيُلقى في النار. وفجأة، يأتي الله سبحانه وتعالى على عرشه، والملائكة تحمل العرش. وملائكة العرش ليسوا كغيرهم من الملائكة؛ فهم مختلفون عنهم. وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وصف ملكٍ واحدٍ من الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش،

كما قال صلى الله عليه وسلم:"أُذِن لي أن أُحَدِّثَ عن ملَكٍ من ملائكةِ اللهِ عز وجل من حملةِ العرشِ: إن ما بين شحمةِ أذنِه إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ" [صححه الألباني في صحيح أبي داود].في هذه اللحظات، سيظن الناس أن الحساب سيبدأ الآن، وهم حفاةٌ وعراةٌ وعطشى، وقد بلغ العطش درجةً عاليةً جداً. وهنا يظهر الأنبياء والرسل، كل نبيٍّ واقفٌ ومعه حوضٌ من الماء. ومنهم رسولنا صلى الله عليه وسلم، وحوضه من الذهب والفضة، والماء الذي فيه هو ماء الكوثر، وهو ماء من نهرٍ في الجنة، ورائحته كالمسك، كما قال تعالى:﴿إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ﴾ [الكوثر: 1].وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجم الحوض، فقال في حديث ثوبان رضي الله عنه: "حَوضي من عدنٍ إلى عُمانَ البلقاءِ، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبنِ، وأحلى من العسلِ، وأكوابُه عددُ نجومِ السماءِ، من يشربُ منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا. أولُ الناسِ ورودًا عليه فقراءُ المهاجرين: الشُّعثُ رؤوسًا، الدُّنسُ ثيابًا، الذين لا يَنكحون المُتنعَّماتِ، ولا تُفتَحُ لهم السُّدَدُ" [صحيح الجامع].

ثم يبدأ كل نبيٍّ ينادي على أمته، فينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى حوضه. وسيعرفنا من آثار الوضوء التي ستكون نورًا يضيء أيدينا وأرجلنا ووجوهنا. فنسارع إلى حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشرب منه شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

لكن هناك مجموعة من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ترد الحوض. وكلما حاولوا الاقتراب، تمنعهم الملائكة. فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم ربه قائلًا: "يا رب، أمتي! أمتي!" فيجيبه الله عز وجل: "إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك." فهؤلاء الذين طُردوا من الحوض هم الذين غيّروا الدين على أهوائهم، وحلّلوا وحرّموا بخلاف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما جاء في صحيح البخاري، قال صلى الله عليه وسلم: "أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ، فمَن ورَدَهُ شَرِبَ منه، ومَن شَرِبَ منه لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أبَدًا. لَيَرِدُ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ." قالَ أبو حازِمٍ: "فَسَمِعَنِي النُّعْمانُ بنُ أبِي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهُمْ هذا، فقالَ: هَكَذا سَمِعْتَ سَهْلًا؟

فَقُلتُ: نَعَمْ." قالَ: "وأنا أشْهَدُ علَى أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فيه قالَ: إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي."

وبعد انتهاء الناس من الشرب من حوض الأنبياء، تبدأ كل أمة بالوقوف خلف نبيها. فسنقف نحن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمة موسى خلف النبي موسى عليه الصلاة والسلام، وأمة عيسى خلف النبي عيسى عليه الصلاة والسلام، وهكذا.

أما الذين لم يتبعوا الأنبياء، فسيُحشرون خلف ما كانوا يعبدونه في الدنيا. فعبدة الأصنام ستتشكل لهم أصنامهم، وعبدة البقر ستتشكل لهم البقر التي كانوا يعبدونها، وهكذا. ويبدأ الإنسان يتحسر على نفسه وعلى ما فعل، وبعد ما يتبع كل أمة ما كانوا يتبعونه في الدنيا تبدأ أوضاع الناس في يوم المحشر في التغير، وتبدأ المواقف تظهر. ننظر إلى اليمين فنجد رجلاً يصلي، وننظر إلى الشمال فنجد رجلاً يشرب الخمر وآخر يستمع إلى الموسيقى، وآخر يدعي، وآخر مربوط بسلاسل تحمل أراضٍ وأموالًا قد سرقها من الناس في الدنيا.

وكل شخص في أرض المحشر سيكون على ما مات عليه في الدنيا. فلذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحسن خاتمتنا.وبعد مرور مدة من الوقت لا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه وتعالى، يبدأ الستر، ونتفاجأ بأن الملائكة قادمة من كل مكان وتستر بعض البشر. وأول من يستر هو خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وهناك تأويلات كثيرة عن سبب كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من يستر يوم القيامة، فالله أعلم بالسبب. كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاةً عراةً غرلاً، كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين» [الأنبياء: 104]، ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم صلى الله عليه وسلم...» فيستر خليل الله عليه الصلاة والسلام، ثم يستر باقي البشر الذين اختارهم سبحانه وتعالى.

بعدها، يأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بإحضار البشر الذين يمتلكون إحدى الصفات السبعة: إمام عادل، ورجل نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل تعلق قلبه بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: "إني أخاف الله"، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تدري شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه. هؤلاء السبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في الحديث الطويل: «سبعة يظلهم الله في ظله». فيبدأ الملائكة بأخذ هؤلاء البشر ووضعهم تحت العرش حتى يستظلوا بظل العرش. بعدها، تبدأ الشمس تقترب جدًا من أرض المحشر، فهي قريبة جدًا جدًا، وهنا تبدأ أوضاع البشر تتغير. هناك من يصبح في عرقه، وهناك من يصل العرق إلى قدميه، ومنهم من يصل عرقه إلى ركبتيه، ومنهم من لا يتعرق أبدًا، كلٌ حسب عمله في الدنيا. كما جاء في مسلم عن المقداد رضي الله عنه

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {تُدنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: "فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أَمَسافة الأرض أم الميل الذي تُكتحل به العين؟" فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشيرًا إلى فمه: «وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فمه»}. هنا بدأ الناس يتعبون، ومنهم من وصل إلى مرحلة صعبة جدًا فلم يشرب من حوض نبيه. وهذا وضعه كما هو. وصل الناس إلى درجة أنهم يتمنون بداية الحساب، ولو حتى ذهبوا إلى النار، حتى يتخلصوا من هذا الوضع الذي هم فيه.

يبدأ البشر بالذهاب إلى الملائكة، ويقولون لهم:

"قولوا لله أن يبدأ الحساب، فقد هلكنا من هذا اليوم، يوم الحشر. يا ليت الحساب يبدأ الآن، اشفعوا لنا عند الله عز وجل".

وهنا لا ترد الملائكة عليهم. فيجتمع البشر جميعًا ويذهبون إلى أبيهم سيدنا آدم عليه السلام. فيقفون عنده ويقولون له:

"يا آدم، أنت أبو البشر وأول الأنبياء، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأدخلك الجنة، وأبعدك عن النار، فاذهب واشفع لنا عند الله، واطلب منه أن يبدأ الحساب".

فيجيبهم سيدنا آدم أمام البشرية جمعاء، من بداية الخلق إلى قيام الساعة:

"إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وقد نهاني عن شجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح".

فيتجه البشر إلى سيدنا نوح عليه السلام، ويقولون له:

"يا نوح، إنك أول رسل الله على الأرض، وقد سماك الله بالعبد الشكور، فاشفع لنا عند الله".

فيجيبهم نوح:

"إن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وقد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي عندما أغرقت الأرض، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فإنه خليل الله".

فيتجه البشر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويقولون له:

"يا إبراهيم، إنك خليل الله في الأرض، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟"

فيجيبهم إبراهيم عليه السلام:

"إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى".

فيتجه البشر إلى سيدنا موسى عليه السلام،

ويقولون له:

"يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته، وكلمك تكليمًا، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟"

فيجيبهم موسى عليه السلام:

"إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أُومَر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى".

فيتجه البشر إلى سيدنا عيسى عليه السلام،

ويقولون له:

"يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟"

فيقول لهم عيسى عليه الصلاة والسلام:

"إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يُذكر له ذنب، نفسي نفسي،

اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم".

فيأتون إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون له:

"يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟"

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"أنا لها، أنا لها".

فينطلق صلى الله عليه وسلم، فيأتي تحت العرش، فيخر ساجدًا لربه، ويفتح الله عليه من المحامد والتسبيح ما لم يُفتح على أحد قبله، ويطيل السجود مدة لا يعلمها إلا الله. ثم يقول الله عز وجل:

"يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعطَه، واشفع تُشَفَّع".

فيرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه، ويطلب من الله بدء الحساب.

الشفاعة

يا شافعَ الخلقِ يا نورَ الهُدى أبداً
** يا خيرَ منِ جاء بالآياتِ والسُّورِ
نرجو شفاعتك العظمى إذا احتُشدوا
** يومَ القيامةِ في خوفٍ وفي أَسَفِ

فيستجيب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، ويكرمه بأول كرامة: دخول سبعين ألفًا من أمته الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ومع هذا العدد الكبير، يزيد الله العدد، فيجعل مع كل ألفٍ سبعين ألفًا، كما قال صلى الله عليه وسلم:

"يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكلون".

(مجموع الفتاوى) وزاد الترمذي: "مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل". وقال الألباني: صحيح.

فهؤلاء السبعون ألفًا سيكونون في الصفوف الأولى من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجوههم كالبدر المضيء وسط الظلام، وسيدخلون الجنة متساوين، لا يسبق أحدهم الآخر.

بعد هذا كله، يرجع الأنبياء والرسل واقفين أمام الله سبحانه وتعالى، ثم يحيط بهم الملائكة. فيسأل الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله: "هل بلغتم الرسالة؟"
فيجيبون جميعًا: "اللهم قد بلغنا".
ويشهد أيضًا الملائكة بأن الأنبياء والرسل قد بلغوا الرسالة.

فهذا هو أول حجة على البشر: أن الله تبارك وتعالى أرسل لهم في الحياة الدنيا أنبياء ورسلًا ليعلموهم المنهج الصحيح، حتى يميزوا بين طريق الجنة وطريق النار، وحتى يختاروا النجاة ولا يختاروا الهلاك.

فهم الآن يشهدون عليكم بما بلغوا وبما قالوا لكم في الحياة الدنيا. وبعد هذه الشهادة من الأنبياء والرسل والملائكة، يبدأ الحساب.

الحساب

إِنَّ يَومَ الحِسابِ يومٌ عَسِيرُ
لَيسَ لِلظَالِمينَ فيهِ نصير

فصل في الحساب: أنواع البشر في أرض المحشر

تقف كل أمة خلف نبيها يوم القيامة، ومن لم يتبع نبيًا أو رسولًا، يتشكل لهم ما اتبعوه في الدنيا ويقفون خلفه. وبعد ترتيب الصفوف، تبدأ أعظم محكمة في الكون، ليست بين البشر والبشر، ولكن بين الخالق والمخلوق.أول من يُحاسب: الحيوانات، تحاسب الحيوانات أولًا، فيُقتص لكل حيوان ممن ظلمه. فهذه محكمة لا يُظلم فيها أحد مثقال ذرة؛ فالقاضي هو الله، والشهود هم الملائكة. وبعد أن تُقتص الحقوق، تتحول جميع الحيوانات إلى تراب. وعندها، ينظر الكافر والمشرك إلى الحيوانات وهي تتحول إلى تراب، فيدرك أن مصيره سيكون أسوأ، لما ارتكبه من معاصٍ وكفر بخالقه. وهنا يتحسر الكافر قائلًا: "يا ليتني كنت مكان هذه الحيوانات، يا ليتني أتحول إلى تراب"، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنذَرناكُم عَذابًا قَريبًا يَومَ يَنظُرُ المَرءُ ما قَدَّمَت يَداهُ وَيَقولُ الكافِرُ يا لَيتَني كُنتُ تُرابًا﴾ [النبأ: 40].

حساب المشركين:

بعد ذلك، يأمر الله عز وجل بأن يُساق المشركون إلى ما عبدوه في الدنيا. فتبدأ هذه الأشياء التي عُبدت من دون الله بالسير نحو النار، ويتبعها المشركون حتى يسقطوا جميعًا فيها. وكل من أشرك بالله سيكون مصيره النار، ولن يخرج منها أبدًا، لأن الله تبارك وتعالى جعل شرطًا لقبول التوبة وهو عدم الشرك به تعالى . فهو يغفر جميع الذنوب إلا الشرك، كما قال في كتابه العزيز:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ وَمَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَدِ افتَرى إِثمًا عَظيمًا﴾ [النساء: 48].

الكافرون والمنافقون:

بعد انتهاء حساب المشركين، يبقى في أرض المحشر الكافر الذي جاءه رسول، ولكنه لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. كان يعتقد أن الموت هو النهاية، كما قال الله تعالى:﴿وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لا يَبعَثُ اللَّهُ مَن يَموتُ بَلى وَعدًا عَلَيهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ﴾ [النحل: 38].

ثم يأتي المنافقون، وهؤلاء أشد من الكفار عذابًا. فقد كانوا يظهرون الإيمان بالله ويقومون بالعبادات، لكنهم لم يخلصوا فيها. صلاتهم وصيامهم وصدقاتهم كانت رياءً ليُقال عنهم صالحون. اختاروا الدنيا على الآخرة، وكانوا يحاولون هدم دين الله من الداخل دون أن يشعر بهم أحد.

الموحدون المؤمنون والعصاة:

ثم يأتي الموحد العاصي، وهو من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولكن ذنوبه كثرت عليه. ومع ذلك، فإنه يظل موحدًا بالله، وهذا ما يرجو منه النجاة. وأخيرًا، يأتي الموحد المؤمن بالله عز وجل، جعلنا الله وإياكم منهم. هؤلاء كانوا يشهدون بوحدانية الله ورسالة نبيه، وذنوبهم قليلة ولا تصل إلى الكبائر.

رحمة الله يوم الحساب:

الموحدون، سواء كانوا عصاة أو مؤمنين، سيكون حسابهم يسيرًا. فأكثرهم لا يدخل النار، ومن دخلها يُعذَّب على قدر ذنوبه ثم يخرج منها، إلا من غفر الله له ذنوبه كلها.

الحساب

يبدأ حساب البشر في يوم القيامة، وهو حساب لن يكون بالسهولة التي قد يتصورها البعض، بل ينقسم إلى مراحل. أول مرحلة من الحساب هي العرض؛ عرض الأعمال على الله عز وجل ومناقشة صاحبها.

تبدأ الأمم بالمثول أمام الله، وأول أمة تُعرض أعمالها هي أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ومن هذه الأمة يُحاسب أولاً المنافقون. تأتي مجموعة من الملائكة فتأخذ المنافقين فرداً فرداً، وتضعهم في مواجهة رب العالمين. هذا المشهد العظيم يشهده كل من في أرض المحشر.

يبدأ الحساب بالمنافق قارئ القرآن، ثم الرجل الذي قُتل في سبيل الله، ثم الرجل صاحب المال الكثير. يسأل الله عز وجل قارئ القرآن: "يا فلان بن فلان، ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟" فيجيبه: "بلى، يا رب".

فيسأله الله: "فما عملتَ فيما علمتَ؟" فيجيب: "كنتُ أقرأ به آناء الليل والنهار". فيرد الله عليه: "كذبت"، وتؤكد الملائكة ذلك قائلة: "كذبت". ثم يقول الله: "بل أردتَ أن يُقال إنك قارئ، وقد قيل ذلك".

ثم يؤتى بصاحب المال فيسأله الله: "ألم أوسع عليك حتى لم تدعَ الحاجة إلى أحد؟" فيجيب: "بلى، يا رب". فيسأله: "فما عملتَ فيما أعطيتك؟" فيقول: "كنت أصل الرحم وأتصدق". فيرد الله: "كذبت"، وتؤكد الملائكة: "كذبت". ثم يقول الله: "بل أردت أن يُقال إنك جواد، وقد قيل ذلك".

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيسأله الله: "بِمَ قُتِلتَ؟" فيجيب: "يا رب، أمرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتى قُتِلتُ". فيرد الله: "كذبت"، وتؤكد الملائكة: "كذبت". ثم يقول الله: "بل أردت أن يُقال إنك جريء، وقد قيل ذلك".

يجادل المنافقون دفاعاً عن أنفسهم، فيقول أحدهم ممن يحاسب: لا لقد عبدتك يا الله، لقد أخلصت النية لك،فتشهد الملائكة على كذبه، فيقول المنافق: هؤلاء شهدائكم أنا أريد شهداء مني فيُغلق الله فمه ويأمر يده ورجله ولسانه وعينه وغيرهم بالتكلم ، فتقول يده: أن هذا الرجل كان يحمل القرآن حتى يبين للناس أنه قارئ ، وتقول رجله أنه كان يقف ويصلي حتى يبين للناس أنه يصلي ، ولسانه وغيرهم من الجوارح تشهد عليه . كما قال تعالى: ﴿يَومَ تَشهَدُ عَلَيهِم أَلسِنَتُهُم وَأَيديهِم وَأَرجُلُهُم بِما كانوا يَعمَلونَ﴾ [النور: 24]. ثم يسمح له بالتكلم فيقول لأركانه التي شهدت عليه:بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أجادل وأحاجج كما في صحيح بن حبان حبان عن أنس بن مالك قال: ﴿كنَّا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فضحِك فقال : (هل تدرونَ ممَّا أضحَكُ) ؟ قُلْنا : اللهُ ورسولُه أعلَمُ

قال : (مِن مُخاطَبةِ العبدِ ربَّه يقولُ : يا ربِّ ألَمْ تُجِرْني مِن الظُّلمِ ؟ قال : يقولُ : بلى قال : فإنِّي لا أُجيزُ على نفسي إلَّا شاهدًا منِّي فيقولُ : كفى بنفسِكَ اليومَ عليكَ شهيدًا وبالكرامِ الكاتبينَ عليكَ شهيدًا فيُختَمُ على فيه ثمَّ يُقالُ لِأركانِه : انطِقي فتنطِقُ بأعمالِه ثمَّ يُخلَّى بَيْنَه وبَيْنَ الكلامِ فيقولُ : بُعْدًا لكُنَّ وسُحْقًا فعنكنَّ كُنْتُ أُناضِلُ).

ثم يؤتى بكتب أعمالهم، ويُؤمرون بأخذها بشمالهم. يحاول المنافق أن يرفع يده اليمنى ليأخذ بها الكتاب، لكنه لا يستطيع، فتُرفع يده اليسرى ويؤخذ بها الكتاب، ويعود إلى أرض المحشر في خزي وندم. كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: 25-29].

بعد انتهاء المنافقين من الحساب، يُرفع الموحد العاصي ليحاسب. تُعرض عليه أعماله فيُقر بما فعل من الذنوب. إن كان قد ظلم أحداً في الدنيا، يُقتص منه بأخذ حسناته وإعطائها للمظلومين، وإن نفدت حسناته، أُخذ من سيئات المظلومين ووُضعت عليه. بعد الحساب، يُعاد إلى أرض المحشر.

ثم يُحاسب الموحد المؤمن. تُعرض عليه ذنوبه، ويظن أنه قد هلك. لكن الله يُبشره بقوله: "سترتها عنك في الدنيا، واليوم أغفرها لك". فيأخذ كتابه بيمينه ويُبشر الآخرين بفضل الله عليه. كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ فَيَقولُ هاؤُمُ اقرَءوا كِتابِيَه﴾ [الحاقة: 19].

أما الكافر، فإنه يُسأل عن النعم التي أنعمها الله عليه، فيعترف بأنه لم يكن يؤمن بيوم الحساب. فيُقال له: "اليوم ننساك كما نسيتنا". كما قال تعالى: ﴿وَقيلَ اليَومَ نَنساكُم كَما نَسيتُم لِقاءَ يَومِكُم هذا وَمَأواكُمُ النّارُ وَما لَكُم مِن ناصِرينَ﴾ [الجاثية: 34]

وقال تعالى: ﴿فَاليَومَ نَنساهُم كَما نَسوا لِقاءَ يَومِهِم هذا وَما كانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ﴾ [الأعراف: 51]. ثم يُؤتى بكتابه، فيُحاول أن يأخذه بيمينه، لكنه يُؤخذ بشماله من وراء ظهره، كما قال تعالى: ﴿وَأَمّا مَن أوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهرِهِ ۝ فَسَوفَ يَدعو ثُبورًا ۝ وَيَصلى سَعيرًا﴾ [الانشقاق: 10-12].

بعد انتهاء هذه المرحلة، تبدأ المرحلة الثانية من الحساب وهي قراءة الصحف، حيث يقرأ كل شخص كتاب أعماله بنفسه. كما قال تعالى: ﴿اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسيبًا﴾ [الإسراء: 14].

ثم تبدأ المرحلة الثالثة، وهي الميزان حيث سينصب أعظم ميزان في الكون، وهو ميزان خاص لقياس الأعمال الموجودة في كتب البشر. هذا الميزان دقيق بشكل فلكي، حيث يقيس بمقياس الذرة وما هو أقل من الذرة.

يبدأ أول صنف من البشر بقياس أعماله على الميزان، وهو الكافر الذي أخذ كتابه بشماله. توضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة. على الرغم من امتلاكه حسنات عملها في الدنيا، إلا أن تلك الأعمال ليست لها وزن لأنها لم تكن خالصة لوجه الله، فهو لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم. لذلك، ترجح كفة السيئات، فيُثبت هذا الكافر في النار خالدًا مخلدًا، إذ لا شيء يشفع له وذنوبه كثيرة.

ثم يأتي الصنف الثاني من البشر، وهم المنافقون. توضع حسناتهم في كفة وسيئاتهم في كفة، ولا يجدون لحسناتهم وزنًا كالذي حدث مع الكافر، لأنهم لم يبتغوا بها وجه الله. فيعرف المنافقون أنهم في النار خالدين مخلدين.

يأتي بعد ذلك الصنف الثالث من البشر، وهم الموحدون العصاة.

توضع أعمالهم على الميزان بين حسنات وسيئات. إذا كانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم، يكون أمام عدة خيارات: إما أن يغفر الله له ذنوبه كلها أو بعضها حتى يدخل الجنة، أو لا تُغفر ذنوبه لأن معظمها من الكبائر، فيدخل النار على قدر ذنوبه ويخرج منها.

وإذا كانت سيئاته أكثر وترجحت في الميزان، يكلمه الله سبحانه وتعالى ويقول له: «أتنكر شيئًا من هذا؟ أظلمك كتبت الحافظون؟» فيقول: «لا يا رب».

فيقول الله عز وجل: «أفلِك عذر أو حجة؟» فيبهت الرجل، فيقول: «لا يا رب»، فيقول الله عز وجل: «بلى، إن لك عندنا حسنة، ولا ظلم عليك اليوم». ثم يُخرج له بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله». فيقول: «أحضِر وزنك».

فيسأل: «يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟».

فيجيب الله تعالى: «إنك لا تظلم». فتُوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فتطش السجلات وتثقل البطاقة، فيُقال: «لا يُثقل اسم الله شيء»، فترجح حسناته ويُكتب أنه في الجنة.

أما إذا كانت كفة حسناته وكفة سيئاته متساويتين، فهؤلاء هم أهل الأعراف. هؤلاء الذين تتساوى حسناتهم مع سيئاتهم، لكن الله برحمته يغفر لهم ذنوبهم ويدخلهم الجنة كما ذكر تعالى في كتابه العزيز.

وأخيرًا، يأتي الصنف الرابع من البشر، وهم الموحدون المؤمنون، جعلنا الله وإياكم منهم. هؤلاء سترجح كفة حسناتهم على سيئاتهم، فلم يعملوا سيئات تجعل كفة السيئات ترجع على كفة الحسنات.

وفي الختام، بعد حساب جميع البشر، من الكفار والمنافقين والمؤمنين، تبدأ درجاتهم في الجنة تتحدد وفقًا لما قدموه من أعمال.

فيؤتى بصاحب القرآن، فيقال له كما قال ﷺ: "يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها". [أخرجه أبو داود].

فلن يُظلَم عند الله أحد، وكل إنسان سيُجزى بأعماله. وبعد وزن البشر أعمالهم على الميزان، تبدأ المرحلة الرابعة من الحساب، وهي الصراط، فهي أهم مرحلة، وهي الحاسمة، وطريقة حساب أدق من الشعرة وأحدّ من السيف. فبعد رفع الميزان من أرض المحشر مباشرة، تأتي الملائكة وتأخذ الكفار وترميهم في جهنم، عافانا الله وإياكم. فلم يبقَ في أرض المحشر إلا المنافق والموحّد العاصي والموحّد المؤمن.

وفي هذه اللحظة، تضرب أرض المحشر "ظُلمة"، فمن شدّة الظلمة والسواد لن يرى الإنسان كفّ يده. وهنا ستكون كل أمّة خائفة وواقفة خلف نبيها، وفجأة،

كل هذه الأمم ستسمع صوت منادٍ ينادي من السماء من فوقهم، ويقول: ما حبَسكم وقد ذهب الناس؟ فتردّ كل الأمم بصوت واحد: "إنّا سمعنا مناديًا يُنادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنّا ننتظر ربنا".

وهنا ينزل الله سبحانه وتعالى إلى أرض المحشر في صورة غير الصورة التي رأوه عليها أول مرة، فيقول: "أنا ربكم"، فيقولون: "أنتَ ربّنا!"، فلا يكلّمه إلا الأنبياء، فيقول: "هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟"، فيقولون: "الساق"، فيكشف سبحانه وتعالى عن ساقه، ومباشرة يخرّ الأنبياء والمؤمنون له ساجدين، ويحاول المنافقون السجود مع الموحّدين، فكلّما أرادوا السجود عاد ظهرهم طبقًا واحدًا، كما قال تعالى: ﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ وَيُدعَونَ إِلَى السُّجودِ فَلا يَستَطيعونَ﴾ [القلم: ٤٢].

وبعدما يأمر الله الموحّدين برفع رؤوسهم، يعطيهم نورًا على قدر أعمالهم التي وُزِنَت بالميزان،

فالبعض يأخذ نورًا بحجم جبل، والبعض يأخذ نورًا بحجم نخلة، والبعض يأخذ نورًا بحجم رجل، والبعض يأخذ نورًا بحجم إبهام. فهذا الذي بحجم الإبهام، سيضيء مرة ويطفئ مرة، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويُؤتى بالمنافق، فيأخذ نورًا على قدر حسناته الزائفة في الدنيا، وبعدها يتقدّم الله كما ذُكِر، ويبدأ يسير حتى يصل إلى جهنم، وكلّ المتواجدين في أرض المحشر سيلحقون بالله سبحانه وتعالى. ثم يعبر الله جهنم، ويبقى أثره على جهنم، وهذا الأثر هو جسر، وقد وصفه صلى الله عليه وسلم في حديث طويل فقال:"ثمَّ يضربُ الجسرُ على جَهنَّمَ، قلنا: وما الجسرُ يا رسولَ اللَّهِ؟ بأبينا أنتَ وأمُّنا. قال: دحضٌ مزلَّةٌ، لهُ كلاليبُ وخطاطيفُ وحسَكةٌ تَكونُ بنجدٍ عقيفًا، يُقالُ لَها السَّعدانُ، فيمرُّ المؤمنونَ كلمحِ البرقِ، وَكالطَّرفِ، وَكالرِّيحِ، وَكالطَّيرِ، وَكأجودِ الخيلِ والرَّاكبِ، فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسَلٌ، ومَكدوسٌ في نارِ جَهنَّمَ.."

وقال ﷺ عنه: [أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعرة]. فهذا الجسر الذي نُصب، وهذا الوصف للنبي صلى الله عليه وسلم، هو "الصراط المستقيم".

وبعد انتهاء كل الموحّدين من عبور الصراط المستقيم، سيأتي دور المنافقين، فهؤلاء لا يملكون حسنات؛ لأنهم كانوا يعبدون الله من أجل إعجاب الناس فقط، فبمجرد سماع بداية مشيتهم على الصراط المستقيم، يضربهم أحد الخطاطيف ويغمسهم في الدرك الأسفل من النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ المُنافِقينَ فِي الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

فكل من وقع من هؤلاء المنافقين في النار يُسمّى "مكدوس في النار". وبعد عبور كل البشر الموحّدين الصراط المستقيم، تنتهي المرحلة الثالثة من الحساب، والتي كانت الصراط المستقيم، وتبدأ المرحلة الرابعة والأخيرة قبل دخول الجنة، وهي "القنطرة".

فهذه القنطرة وظيفتها تصفية الحقد والغلّ والحسد الذي في نفوس المؤمنين، فيقتصّ كل واحد منهم مظلمته، كما قال صلى الله عليه وسلم:

"إذا خلُصَ المؤمنونَ من النَّارِ، حُبِسُوا بقنطرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيتقاصُّونَ مَظالِمَ في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا، أُذِنَ لهم بدخولِ الجنَّةِ، فوالَّذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِه! لأحدُهُم بمنزِلِهِ أدَلُّ منهُ في الدُّنيَا" [رواه البخاري].

وبعدما تمّ تنقيتهم في القنطرة من كل أمراض الدنيا، تبدأ أشكال جميع البشر، الرجال والنساء، بالتغير، فيصبحون جميعًا بنفس طول سيدنا آدم ﷺ، الذي هو ستون ذراعًا (خمسة وأربعون مترًا بالحسابات العربية القديمة). وبعدها، يزرع الله تعالى في قلوب الرجال قوة مئة رجل في جميع أفعالهم، ويسمّيهم الله تعالى "الرجال"، ويمنحهم جمال سيدنا يوسف ﷺ.

أما النساء، فيهبهن الله جمالًا أجمل من أجمل حور عين في الجنة. ومع هذه الفرحة الشديدة بين أهل الجنة، يثبّت الله أعمارهم على عمر الثلاثة والثلاثين سنة، مثل عمر سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

ثم يُرزق أهل الجنة قلوبًا مثل قلب سيدنا أيوب ﷺ، ويصبحون جميعًا على عُرفٍ وتقليدٍ واحد، مثل أفعال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد كل هذه الصفات والتغيرات، فجأةً، يبدأ جميع الأنبياء والرسل بالتحرّك والابتعاد عن القنطرة، وسيلهم الله جميع أهل الجنة للتحرك خلفهم، وسيكون قائد هذه الرحلة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخلال سيرهم خلف رسول الله وجميع الأنبياء، يتفاجؤون أمامهم بسور عظيم جدًا، أحجاره من الذهب والفضة، ويوجد فيه ثمانية أبواب، وهي أبواب الجنة، كما قال صلى الله عليه وسلم:

"في الجنة ثمانية أبواب: بابٌ منها يُسمّى الريّان، لا يدخله إلا الصائمون" [رواه البخاري].

وفي هذه اللحظات، يقترب رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الجنة، ويطرقه، فيردّ عليه خازن الجنة "رضوان" عليه السلام، ويقول: "من أنت؟"، فيقول: "محمد". فيقول خازن الجنة: "بك أُمِرتُ، لا أفتحُ لأحدٍ قبلك"،فيفتح خازن جنة رضوان أبواب الجنة الثمانية، ويضيء نور الجنة كل شيء خارجها. وأول من يدخل الجنة هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم بقية الأنبياء والرسل، ثم بقية البشر. وأول من يدخل الجنة من البشر بعد الأنبياء والرسل هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وبعدها يدخل جميع البشر، كلٌّ حسب عمله. فمنهم من يدخل في أول زمرة تدخل الجنة - جعلنا الله وإياكم منهم - ومنهم من يدخل بعد سنة، ومنهم من ينتظر كثيرًا على حسب أعمالهم في الدنيا.

وكلما دخل أحد من البشر الجنة، تناديهم الملائكة وتحييهم بتحية الإسلام، وبأجمل أسمائهم،

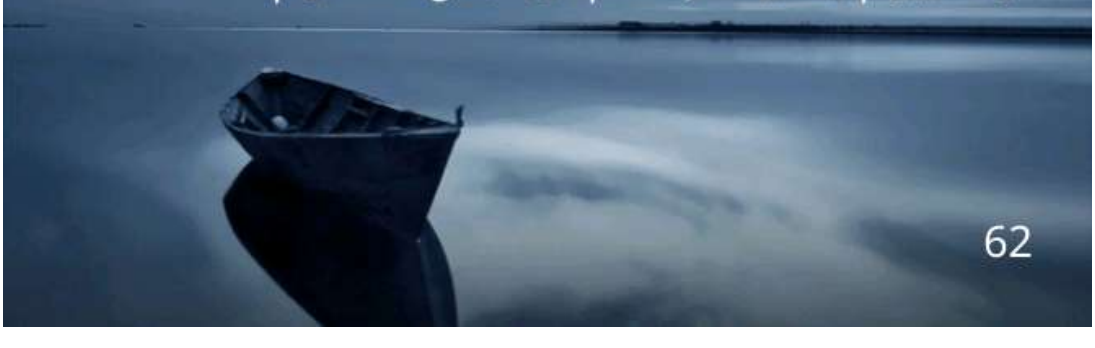

كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها وَمَن صَلَحَ مِن آبائِهِم وَأَزواجِهِم وَذُرِّيّاتِهِم وَالمَلائِكَةُ يَدخُلونَ عَلَيهِم مِن كُلِّ بابٍ ۝ سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

حسنًا، وماذا بعد؟ بعد ذلك كله، نعيمٌ لأهل الجنة، وهي أمور غيبية لا يعلمها إلا الله، إلا ما أخبر به الله ورسوله في القرآن والسنة. نذكر بعضها إن شاء الله تعالى في الجزء القادم.

اللهم اجعلنا من أهل الجنة الذين يدخلونها بدون حساب ولا سابقة عذاب.

مَرضَ الفؤادُ من الفراقِ فَكُلَّمَا

فارقْتَ مَحبوبًا تلاهُ حبيبُ

يا قلبُ لا تحزنْ فذا حالُ الدُّنا

الوصلُ شمسٌ والفراقُ مغيبُ

اِســـألْ إلهكَ أن يُلَمْلِمَ شَمْلنَا

معَ مـنْ نُحبُّ فإنَّـهُ لمـجِيبُ

في جنَّةِ الفِردوسِ حَيثُ الملْتَقَى

فيها سَـيبْقَى.. والحياةُ تَطِيبُ

وفي الختام: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ألقاكم في موضوع آخر إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الموتُ حقٌ، وكلُّنا فيهِ سائرٌ،
وبعدهُ بعثٌ، وجنةُ الخُلدِ عامرٌ.